التنمية السياحية لمنطقة المعابد المطلة على بحيرة ناصر

شروق محمد أحمد عاشور * فرج الله أحمد يوسف **
*أكاديمية المستقبل– مصر ** الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني بالسعودية

ملخص البحث:

النوبة هي الإقليم الذي شهد بزوغ فجر الحضارة في وادي النيل، وقامت به أول مملكة في مصر قبل عهد الأسرات، وبعد بناء السد العالي (1964 – 1970م) غرقت أراضي النوبة ، ويوجد في النوبة ست عشر معبدًا ترجع للعصرين الفرعوني، واليوناني الروماني، تم نقل هذه المعابد إلى أماكن أعلى بالقرب من مواقعها أو تم تجميع بعضها في مكان واحد كما في وادي السبوع، ومن تلك المعابد: معبد كلابشة، ومعبد جرف حسين، ومعبد الدر، ومعبد قصر أبريم، ومعابد وادي السبوع: معبد السبوع، ومعبد عمدا، ومعبد الدكة، وجميع هذه المعابد تقع على ضفاف بحيرة ناصر.

وتم تهجير أهالي النوبة من بلادهم سنتي 1963 – 1964م، ولم يسمح لهم بالعودة حتى الآن، وتم تركيز التنمية السياحية على معبدي رمسيس الثاني بمدينة أبوسمبل، في حين ظلت المعابد الأخرى شبه مهجورة لا يرتادها إلا القليل من السياح.

ولعل من أهم الحقبات التي تضاف إلى ما ذكر هي الفترة المسيحية حيث كانت في بلاد النوبة ثلاث ممالك مسيحية نوباتيا في الشمال، والمقرة في الوسط، وعلوة في الجنوب، وقد استمرت المسيحية في النوبة ما يقرب ثمانية قرون، وتركت لنا عدد من العمائر والطرز الفنية التي تنم عن العقيدة.

ويقدم البحث خطة للتنمية السياحية لمعابد النوبة التي لا يرتادها السياح، ويمكن لهذه التنمية أن تتم على أيدي للنوبيين بما لهم من دور في نهضة مصر يتركز على مشاريع للتنمية المستدامة في النوبة القديمة، من خلال خطة الدولة بإنشاء مجتمعات عمرانية تتكون من خمسة وأربعين قرية على ضفاف بحيرة ناصر، وإنشاء عددًا من الصناعات، وكذلك إنشاء عدد من المنتجعات السياحية.

وللنوبيين تجارب فريدة في تطوير المواقع الأثرية والتراثية ووضعها على الخريطة السياحية، ومن الممكن تطبيق ذلك على هذه المعابد، وتنشيط السياحة في النوبة من خلال تنوعها ما بين سياحة أثرية، وسياحة نهرية، وسياحة المحميات الطبيعية، والسياحة الريفية.

مقدمة

غرقت أراضي النوبة بعد بناء السد العالي سنة 1970م، ويوجد في النوبة ثمانية عشر معبدًا ترجع للعصرين الفرعوني، واليوناني الروماني، وشيد بعضها ملوك النوبة،وتم نقل هذه المعابد إلى أماكن أعلى بالقرب من مواقعها أو تم تجميع بعضها في مكان واحد كما في وادي السبوع، ومن تلك المعابد: معبد بيت الوالي، ومعبد كلابشة، ومعبد قرطاسي، ومعبد جرف حسين، وقلعة كوبان، ، ومعابد وادي

السبوع: (معبد السبوع، ومعبد الدر، ومعبد عمدا، ومعبد الدكة، ومقبرة عنيبة)، ومعبد قصر أبريم، ومعبد ابو عودة، وجميع هذه المعابد تقع على ضفاف بحيرة ناصر.

وهناك أربعة معابد أهدتها الحكومة المصرية بعد مشروع إنقاذ آثار النوبة إلى دول أجنبية هي:

معبد دابود إلى إسبانيا، ومعبد تافا إلى هولندا، ومعبد دندور إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ومعبد الليسيه إلى إيطاليا، كذلك تم إنقاذ أربعة معابد تقع داخل الحدود السودانية هي معابد: عكاشة، وبوهين، وسمنة، ودبيرة.

تهجير النوبة

تم تهجير أهالي النوبة من بلادهم سنتي 1963 – 1964م، ولم يسمح لهم بالعودة حتى الآن، وتوقفت التنمية السياحية عند معبد فيلة شمالاً لأنه يقع ضمن حدود مدينة أسوان، وجنوبًا عند معبدي رمسيس الثاني بمدينة أبوسمبل السياحية التي أنشئت بعد تهجير النوبيين سنة 1964م بما تضمه من مطار دولي ومرافق، في حين ظلت المعابد الأخرى شبه مهجورة لا يرتادها إلا القليل من السياح.

النوبة عبر التاريخ

النوبة هو الاسم الذي يطلق على البلاد التي تقع جنوب الشلال الأول وتمتد من أسوان في الشمال إلى مشارف الخرطوم في الجنوب، وكان يطلق على النوبة في اللغة المصرية القديمة عدة أسماء منها: "كوش" وهو الاسم الأكثر شيوعًا منذ عهد الدولة الوسطى (2040 – 1786 ق.م)، ومن الأسماء التي عرفت بها النوبة أيضًا: "كينست"، و"تاستي" الذي يعني بلاد حاملي الأقواس، وأطلق على الملك تهارقا لقب (سيد تاستي). (أبوبكر 1962: 9–10؛ قسم السيد 1987: 56)

وقامت بالنوبة أول مملكة في مصر قبل عهد الأسرات،ولقد ظهرت أدلة أثرية تشير إلى قيام مملكة نوبية قبل عهد الملك مينا في قرية قسطل بالقرب من الحدود بين مصر والسودان، وتم الكشف عن هذه الأدلة الأثرية خلال أعمال إنقاذ آثار النوبة سنة 1962م، وتمكن الآثاري الأمريكي كيث سيبل مدير بعثة المعهد الشرقي بجامعة شيكاجو من الكشف عن جبانة كبيرة تضم مقابر تنتمي لـ (ثقافة المجموعة الأولى) أي عصر ما قبل الأسرات في مصر، وأكدت المعثورات الأثرية في تلك المقابر أنها تعود لملوك وأمراء نوبيين تمكنوا من تأسيس مملكة نوبية سبقت عصر الأسرات في مصر.(وليامز 2003؛ عبدالمجيد وآخرون 2006: 45–50)

وقامت في النوبة ثلاث ممالك هي

–الأولى وعاصمتها كرمة (2400 –1500 ق.م).

–الثانية وعاصمتها نبتة (نباتا) (1000 – 300ق.م).

– الثالثة وعاصمتها مروي القديمة (البجراوية) (300 ق.م – 300م).

وخرجت من كوش الأسرة الخامسة والعشرون في التاريخ الفرعوني، وحكمت مصر، ومن أشهر ملوكها: الملك بعنخي (752 – 721ق.م)، والملك شباكا (721 – 707 ق.م)، والملك شبيتكو (707 – 690ق.م)، والملك طهارقا (690 –664ق.م).

وأكدت الدراسات الآثارية أن أهل النوبة استقروا في أرضهم منذ الألف الخامسة قبل الميلاد على الأقل، ووصلوا إلى المستوى الحضاري نفسه الذي وصل إليه المصريون، ينحدر النوبيون من أصل مشابه للمصريين، وتشبه حضارتهم الأولى حضارات ما قبل التاريخ في مصر، ومنذ عهد الدولة القديمة كان النوبيون يصدرون إلى مصر الذهب على هيئة حلقات، وسبائك، وتبر، والعاج، والأبنوس، والبخور، والغنم، والماعز، وتنقسم النوبة إلى قسمين: الشمالي، وهو جزء من مصر ويمتد من أسوان شمالاً حتى وادي حلفا جنوبًا، والجنوبي، وهو جزء من السودان. (أبوبكر 1962: 11)

بدأت عناية المصريين بالنوبة تزداد منذ عصر الأسرة السادسة، ومن أدلة ذلك قيام أحد عظماء تلك الأسرة واسمه "أوني" بحفر خمس قنوات في صخور الشلال الأول لتسهيل الملاحة في اتجاه النوبة، وسجل أعماله تلك على نصب ذكر فيه أن قبائل الايرثت، والواوات، والمدجاو قد ساعدته في حفر القنوات، وفي عهد الأسرة الثانية عشرة (2000ق.م) دارت حروب طويلة بين المصريين والنوبيين انتهت بانتصار المصريين الذي قاموا بتشييد عدة حصون على طول الطريق من أسوان وحتى الشلال الثاني من أهمها حصنا "سمنة وقُمه". (أبوبكر 1962: 20)

ومنذ عصر الدولة الحديثة (منتصف القرن السادس قبل الميلاد) انضمت النوبة إلى مصر، وتأثرت بالثقافة المصرية وتعبدت إلى الآلهة المصرية وانتشرت في النوبة المعابد المصرية التي كانت بمثابة مراكز ثقافية يتعلم فيها الناس الدين والعلم، وعهد المصريون بإدارة بلاد النوبة إلى موظف كبير كان يلقب بلقب (ابن الملك المولى على كوش)، واستمر الحال على هذا المنوال حتى القرن الثامن قبل الميلاد حين ظهرت أسرة نوبية قوية انتهزت فرصة اضطراب الأوضاع في مصر منذ القرن التاسع قبل الميلاد، فأخذت تعمل جاهدة على تحقيق الحلم النوبي المتمثل في الوصول إلى عرش مصر، حتى تمكن أحد أفرادها وهو الملك "بعنخي" من تحقيق ذلك الحلم وتأسيس الأسرة الخامسة والعشرين في التاريخ الفرعوني، وفي عهد الملك تهارقا (ترهاقا) غزا الآشوريين مصر سنة 670ق.م فانتهى بذلك حكم الأسرة الخامسة والعشرين، فعاد ترهاقا إلى عاصمة النوبة نباتا، وبعد موته خلفه ابنه تانوت آمون الذي زحف شمالاً نحو منف واستعادها من الآشوريين الذين ما لبثوا أن انتصروا عليه واجبروه على الانسحاب منها.

وفي مطلع القرن الثامن قبل الميلاد تأسست في نباتا أسرة حاكمة محلية أول ملوكها يدعى (ألارا) الذب بدأ عهده سنة 780ق.م مؤسسًا ما يعرف بالعصر الكوشي الذي استمر حتى سنة 593 ق.م، ونشأت بعد ذلك مملكة مروي (593 ق.م –350م)، وخلال عهد الملك المروي نستاس (335 –

310ق.م)استولى الإسكندر الأكبر على مصر سنة 330 ق.م، وتغلغل البطالمة ورثة الإسكندر الأكبر في النوبة وسيطروا على المنطقة التي تقع جنوب أسوان بحوالي 110 كيلومتر، وأطلقوا عليها اسم "الدوديكاشينوس" وكانت تشمل البلاد التالية: دابود، وثافا، وكلابشة، وجرف حسين، والدكة، وكوبان، وقورتة، والمحرقة، ومن الملوك النوبيين الذين تأثروا كثيرًا بالثقافة اليونانية الملك أركامون الذي كانت تربطه صلة وثيقة بالملك بطليموس الثاني.

وبعد سقوط دولة البطالمة في مصر وانتقال الحكم إلى الرومان بدأت سلسلة من الثورات ضد الحكم الروماني في جنوب مصر، وشارك النوبيون في تلك الثورات وقدموا في إحداها مساعدات كبيرة لأهل طيبة الذين ثاروا ضد الحاكم الروماني كورنيلوس جاللوس في عهد الإمبراطور أغسطس، وبعد أن تمكن الحاكم كورنيلوس من القضاء على الثورة في طيبة توجه جنوبًا لمعاقبة النوبيين، لكنه لم ينجح في مهمته وترك النوبيين متمتعين بالاستقلال مع الاعتراف الاسمي بسيطرة الرومان. وفي سنة 25ق.م قام النوبيون بثورة كبيرة ضد الرومان وتغلبوا على الحامية الرومانية وسيطروا على جزيرتي أنس الوجود، وألفنتين، ومدينة أسوان، فخرج الحاكم الروماني بترونيوس على رأس جيش كبير التقى الجيش النوبي الذي كان بقيادة الملكة أماني رينا (ريناس)عند الدكة وكانت الغلبة للرومان الذين تقدموا جنوبًا وحاصروا فلول الجيش النوبي في قلعة أبريم واستولوا عليها ثم واصلوا زحفهم صوب عاصمة النوبة نباتا وتمكن بترونيوس من تدميرها ونهب ما فيها من كنوز إلا إن كل ذلك لم يضعف مقاومة النوبيين الذين جمعوا قواتهم وتقابلوا مع الجيش الروماني عند أبريم فقبل النوبيين الصلح مع الرومان والذي تم بموجبه إعفاءهم من دفع الجزية للرومان، ووقعت تلك المعاهدة سنة 20ق.م.(عبدالمجيد 2006: 111-117)

النوبة أول من اعتنق المسيحية

جاء في سفر أعمال الرسل من العهد القديم ما يؤكد أن المسيحية دخلت النوبة في القرن الأول الميلادي وقبل أي مكان آخر في مصر:(ثُمَّ إِنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ كَلَّمَ فِيلُبُّسَ قَائِلاً: قُمْ وَأَذْهَبْ نَحْوَ الْجَنُوبِ عَلَى الطَّرِيقِ الْمُنْحَدِرَةِ مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى غَزَّةَ الَّتِي هِيَ بَرِّيَّةٌ فَقَامَ وَذَهَبَ. وَإِذَا رَجُلٌ حَبَشِيٌّ خَصِيٌّ وَزِيرٌ لِكَنْدَاكَةَ مَلِكَةِ الْحَبَشَةِ كَانَ عَلَى جَمِيعِ خَزَائِنِهَا). (سفر أعمال الرسل الإصحاح الثامن: 26-27)

وكان في النوبة ثلاثة ممالك مسيحية هي: مملكة نوباتيا التي تبدأ حدودها من أسوان إلى الشلال الثالث وعاصمتها مدينة فرص (باخوراس)، ومملكة المقرة التي تمتد من الشلال الثالث إلى الجنوب من مدينة شندي التي تقع على مسافة 200 كيلو متر إلى الشمال من الخرطوم، وعاصمة هذه المملكة مدينة دنقلة، ومملكة علوة التي تمتد من جنوب شندي حتى جنوب الخرطوم، وعاصمتها مدينة سوبا(عاشور، ويوسف 2016:)، وبعد الفتح العربي الإسلامي لمصر سنة 21هـ/641م دخلت الأجزاء الشمالية من مملكة نوباتيا ضمن الدولة الإسلامية، وبعد سنة 31هـ/651م انضمت بقية

مملكة نوباتيا للدولة الإسلامية وتوقفت الفتوح الإسلامية عند مملكة المقرة التي وقعت مع المسلمين "معاهدة البقط.(سعد 2011: 60-63)

المعابد المطلة على بحيرة ناصر

1 – معبد دابود: يقع على مسافة 20 كيلو متر جنوب السد العالي، وبناه الملك النوبي أزخر آمون سنة 300ق.م، وتم إهداء المعبد إلى إسبانيا.

2 – معبد قرطاسي: يقع على بعد 45 كيلو متر جنوب السد العالي، وشيد في العصر الروماني.

3 – معبد تافا: يقع على مقربة من معبد قرطاسي، وشيد مثله في العصر الروماني، وتم إهداء المعبد إلى هولندا.

4 – معبد بيت الوالي: أول معابد الملك رمسيس الثاني المنقورة في الصخر ببلاد النوبة، ويقع على بعد 55 كيلو متر جنوب السد العالي، وكان مكرسا للمعبود آمون والمعبود خنوم، وتعود تسميته الحالية إلى ناسك مسيحي.

5 – معبد كلابشة: يبعد بحوالي 75 كيلو متر جنوب السد العالي، ويعد من أكبر المعابد المشيدة في النوبة السفلى وتم تشييده في عصر الملك أمنحتب الثاني (1427 – 1401 ق.م أو 1427 – 1397 ق.م) إلا أن المعبد في شكله الحالي يعود لعصر البطالمة، ويمتاز المعبد بتخصيصه لعبادة إله الشمس النوبي (ماندوليس)، ويوجد به النصب الذي سجل عليه الملك النوبي سلكو انتصارات على البجة.

6 – معبد جرف حسين: ثاني معابد رمسيس الثاني المنقورة في الصخر ويقع على بعد 90 كيلو متر جنوب سد أسوان، وشيده ستاو الذي كان يشغل منصب نائب الملك المولي على كوش، وخصص المعبد لعبادة المعبود بتاح، والمعبود بتاح ناتتن، والمعبودة سخمت، والملك رمسيس الثاني، وأعيد تركيب بقايا المعبد بجوار معبد كلابشة، وهي تتكون من عامود أمامه تمثال لرمسيس الثاني صاحب المعبد، و22 كتلة تضم ثمانية عناصر معمارية، وسبعة أعتاب، وأجزاء من تماثيل مفككة، وتيجان وقواعد أعمدة.

7- معبد دندور: يقع على بُعد 78 كيلو متر السد العالي، وشيده الإمبراطور الروماني أغسطس سنة 30 ق.م وخصص لعبادة شخصين من الأبطال تم رفعهما إلى مصاف الآلهة وهما: باديسة ومعناه عطية إيزيس، وباهور ومعناه عبد حورس، وتم تحويل المعبد إلى كنيسة في عهد الملك النوبي اكيسبانومي سنة 557م، وتم إهداء المعبد إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

8 – معبد الدكة: يقع على مسافة 107 كيلو متر جنوب السد العالي، وشيده الملك النوبي اركامون (270-260 ق.م)، وهو صاحب الهرم رقم 6 في أهرام البجراوية.

وكانت الدكة تعرف باسم بسلكيس، وكان المعبد مكرسًا لعبادة(سرقت)التي تعرف أيضًا باسم (سلكت) معبودة الخصوبة، والشفاء من اللسعات السامة، وكانت (سرقت) تصوّر على شكل عقرب أو امرأة مع عقرب على رأسها.

9 – قلعة كوبان: تقع على مقربة من معبد الدكة، ويرجع تاريخ إنشائها إلى عصر الأسرة الثانية عشرة (1991–1759 ق.م)، وكانت القلعة هي حلقة الوصل بين وادي النيل ومناجم الذهب، حيث كانت كميات الذهب المستخرجة تخزن في القلعة تحت حراسة مشددة حتى يتم نقلها إلى مصر.

10 – معبد وادي السبوع: يقع المعبد على بعد 150 كيلو متر جنوب السد العالي وهو المعبد الثالث من معابد رمسيس الثاني المنقورة في الصخر، وتعود التسمية إلى صفين من التماثيل على هيئة أبو الهول أمام المعبد.

11 – معبد عمدا: يقع على بعد 185 كيلو متر جنوب السد العالي، وهو أقدم المعابد في النوبة إذ يعود تاريخ تشييده إلى عهد الملك تحتمس الثالث (1479 – 1425 ق.م) وأدخلت عليه زيادات في عهد كل من: الملك أمنحتب الأول، والملك تحتمس الرابع، وخُصص المعبد لعبادة المعبود آمون.

12 – معبد الدر: يقع على مسافة 200 كيلو متر جنوب السد العالي، وهو المعبد الرابع من معابد رمسيس الثاني المنقورة في الصخر، وكان المعبد خاصًا بعبادة المعبود حور أختي والملك رمسيس.

13 – قلعة قصر أبريم: تقع على بعد 235 كيلو متر إلى الجنوب من السد العالي، ويوجد بها خمسة هياكل صغيرة منقورة في الصخر، وعلى جدران القلعة توجد صور تمثل ملوك النوبة يتعبدون إلى آلهة المنطقة والسبب في وجود هذه الهياكل يرجع إلى قرب القلعة من عاصمة بلاد النوبة السفلى في عصر الدولة الحديثة وهي المعروفة باسم ميعم (عنيبة)

14– معبد أبوعودة: يقع على الضفة الشرقية للنيل أمام معبد أبوسمبل، وهو معبد صغير منحوت فى الصخر، ويتكون المعبد من مدخل وصاله يقوم سقفها على أربعة أعمدة وحجرتين جانبيتين وقدس الأقداس، ويرجع إلى عهد الملك حور محب(1306 أو 1319 ق.م – 1293 ق.م)، واستخدم المعبد كنيسة حيث غطيت بعض جدرانه بطبقه من الجص وصورت عليها مناظر تتعلق بالديانة المسيحية.(أبوبكر 1962: 32–69؛ عكاشة وآخرون د. ت؛عبدالمجيد وآخرون 2006: 59–118؛ محمد 2011؛ بوركهارت 2012: 54–112)

وبعد انتشار المسيحية في النوبة حول النوبيين بعض المعابد إلى كنائس مثل معابد: فيلة، وكلابشة، ودندور، وفي سنة 577م افتتح رئيس مطارنة أسوان معبد فيلة بعد تحويله إلى كنيسة،، وشيد الملك النوبي (مركوريوس) كنيسة في تافا على بعد 42 كيلو متر إلى الجنوب من السد العالي، ومن أشهر ملوك النوبة في تلك الفترة الملك (سلكو) الذي حارب قبائل البجة وتمكن من طردهم من بعض مناطق النوبة التي استولوا عليها أكثر من مائتي سنة، وكان الملك سلكو حاكمًا على كلابشة وسجل

انتصاراته على نصب عثر عليه في معبد كلابشة، وجاء في النقش ما يشير إلى اعتناق الملك الديانة المسيحية

(وجئت إلى طلمي وتافة مرة ومرتين وتقاتلت مع البلميين ومنحني الرب النصر وفي المرة الثانية نلت نصرًا حاسمًا ففتحت مدنهم واحتلتها قواتي، وأخضعتهم، فأدوا إليّ مظاهر الاحترام وعقدت الصلح معهم واقسموا بآلهتهم فقبلت ذلك منهم على أنهم ناس شرفاء، وقد تقاتلت مع البلميين من يريم إلى تئل)، وانتهت فترة حكم الملك سلكو في سنة 559م فخلفه الملك إيريانمة. (كوبيشانوف 1988: 153-155)

وعثر في معبد دندور على نصب يرجع لعهد الملك إيريانمة، ويحمل تاريخ 27 تيب من الاندوقتيون السابع الموافق 23 يناير سنة 559م، وسجل على النصب اللقب الذي كان يطلق على حكام النوبة السفلى في ذلك الوقت وهو لقب: "هيبارخ"، بالإضافة إلى الألقاب البيزنطية الأخرى التي كانت تطلق على علية القوم مثل: هيبوتران، وفيلارخ، والأسماء المسيحية مثل: بافنوطيوس، وابيفانوس، ومرقص، ويذكر النصب أيضًا أسقف فيلة والقس التابع له وهو يوحنا القبطي الذي رفع الصليب عند تكريس معبد دندور.(كوبيشانوف 1988: 153-155)

كنيسة عبدالله نرقي

وتعود أقدم الكنائس التي ظلت قائمة في النوبة إلى حوالي الفترة ما بين القرنين السادس والثامن الميلاديين، وهي كنيسة عبدالله نرقي التي كانت مشيدة بالطوب اللبن، وكانت مساحتها تبلغ نحو 12×24م وبها مجموعة من الصور الجدرية في أقبيتها (عبدالمجيد وآخرون 2006: 127-128)، وظلت الكنيسة قائمة حتى بناء السد العالي وتهجير النوبيين، والجدير أن إنقاذ آثار النوبة توقف عند المعابد فقط، ولم يشمل الآثار المسيحية والإسلامية.

كاتدرائية فرص (باخوراس)

كانت كاتدرائية فرص من أهم المعالم الأثرية الباقية من ممالك النوبة المسيحية وهي تقع في فرص عاصمة مملكة نوباتيا، وشيدت مكان كاتدرائية أقدم كانت تسمى باسم كاتدرائية السيدة العذراء التي دمرت خلال الغزو الفارسي لمصر سنة 616م.

أما الكاتدرائية الأخيرة فقد شيدت على يدي الأسقف بولس سنة 707م وتميزت برسومها الجدارية التي ترجع للفترة ما بين بداية القرن الثامن إلى نهاية القرن الثالث عشر الميلاديين، ووجد بها كتابات بالخطين القبطي واليوناني ساعدت كتابة تاريخ فرص، وأساقفتها، وتاريخ المسيحية في النوبة. (أسعد 2010)

التنمية السياحية للمعابد المطلة على بحيرة ناصر

لقد تعاملت الدولة مع النوبة القديمة باعتبارها منطقة عسكرية مغلقة بعد التهجير سنة 1964م، ومنعت الدخول إليها إلا بإذن من الحاكم العسكري للمنطقة الجنوبية حتى بداية السبعينيات من القرن العشرين الميلادي حيث سمحت بدخول المناطق الواقعة غرب النيل، وظل الحظر مفروضًا المناطق الواقعة في شرق النيل حتى الآن.

وكانت قوافل السياح الأجانب لا تذهب إلى مدينة أبوسمبل السياحية برًا حتى منتصف التسعينيات من القرن العشرين الميلادي، مما أدى إلى تعطيل التنمية السياحة لمعابد النوبة المطلة علي بحيرة ناصر فيما بين مدينة أسوان في الشمال، ومدينة أبوسمبل السياحية في الجنوب.

ثم صدر دستور 2014م، وجاء نص المادة (236) كما يلي:

(تكفل الدولة وضع وتنفيذ خطة للتنمية الاقتصادية، والعمرانية الشاملة للمناطق الحدودية والمحرومة، ومنها الصعيد وسيناء ومطروح ومناطق النوبة، وذلك بمشاركة أهلها في مشروعات التنمية وفى أولوية الاستفادة منها، مع مراعاة الأنماط الثقافية والبيئية للمجتمع المحلى، خلال عشر سنوات من تاريخ العمل بهذا الدستور، وذلك على النحو الذي ينظمه القانون. وتعمل الدولة على وضع وتنفيذ مشروعات تعيد سكان النوبة إلى مناطقهم الأصلية وتنميتها خلال عشر سنوات، وذلك على النحو الذي ينظمه القانون).

ويقدم البحث خطة للتنمية السياحية لمعابد النوبة التي لا يرتادها السياح، ويمكن لهذه التنمية أن تتم على أيدي للنوبيين بما لهم من دور في نهضة مصر يتركز على مشاريع للتنمية المستدامة في النوبة القديمة، من خلال خطة الدولة بإنشاء مجتمعات عمرانية تتكون من خمسة وأربعين قرية على ضفاف بحيرة ناصر، وإنشاء عددًا من الصناعات، وكذلك إنشاء عدد من المنتجعات السياحية.

وللنوبيين تجارب فريدة في تطوير المواقع الأثرية والتراثية ووضعها على الخريطة السياحية، ومن الممكن تطبيق ذلك على هذه المعابد، وتنشيط السياحة في النوبة من خلال تنوعها ما بين سياحة أثرية، وسياحة نهرية، وسياحة المحميات الطبيعية، والسياحة الريفية.

ولذا فإن التنمية المقترحة لهذه المعابد ترتبط بعودة النوبيين للنوبة القديمة من خلال المنتجعات التي يمكن أن تقام بجوار المعابد وفي القرى التي تقع بالقرب منها ومن ثم ربطها بالخريطة السياحية لجذب السياح وزيادة الاستثمار السياحي، مما سيؤدي إلى تحسين دخل الفرد والأسرة من خلال فتح مجالات للعمل في القطاع السياحي.

إن تصميم المنازل وفق العمارة التقليدية ينافس تصميم القرى السياحية فالعمارة التقليدية النوبية تتوفر على عناصر معمارية وزخرفية مبهرة وملائمة للطبيعة إلى جانب الاهتمام بالخدمات الترفيهية التي تتوفر في أرقى المنتجعات:

– الهدوء الشديد والخصوصية.
– البعد عن مفردات الحياة اليومية.
– إمكانية الاتصال مع أفراد المجتمع والاندماج معهم والتعرف عن قرب على عاداتهم وتقاليدهم.
– توفير فرص لممارسة الرياضة المناسبة مثل رياضة التزحلق علي الماء، والغوص، والسباحة، ورحلات السفاري.
– توفير خدمات الاتصالات الحديثة.

وللنوبيين تجارب عدة في التنمية السياحية يأتي في مقدمتها تجربة قرية غرب سهيل التي بدأت في أواسط التسعينيات من القرن العشرين الميلادي فبعد إنشاء متحف النوبة بأسوان، الذي شارك في إنشائه بعض أبناء قرية غرب سهيل الذين راودهم السؤال التالي:

ما الداعي أن يشاهد السائح بلاد النوبة، ثقافتها وملامحها، وأجواءها، داخل البيئة الباردة للمتحف؟ حيث الإضاءة خافتة في أرجائه، ومركزة على قطعة هنا وأخرى هناك.. إبريق، أو جلباب نوبي، أو جرة.. إضاءة كفيلة بأن تصنع جدارًا وهميًا بين السائح وثقافة يسعى لرؤيتها، فتفصله عنها بقدر اقترابه منها.. لماذا والنوبة على بعد خطوات لا تزال حية؟

الإجابة على السؤال أدت إلى تأسيس سياحة البيت النوبي بقرية غرب سهيل، وهو ما وضعها فيما بعد على خريطة السياحة العالمية لتصبح مزارا سياحيًا مهمًا، ليس في الشتاء فقط حيث يتزايد عدد السياح في أسوان، بل في أشهر الصيف بعدما استطاع أبناء قرية غرب سهيل من إقامة تنمية سياحية كاملة في القرية تمكنت من اجتذاب السائحين.

الوصول إلى غر بسهيل ليس بالأمر الصعب فهي على بعد دقائق من وسط مدينة أسوان، يصعد بك الطريق بعد الدوران يمين خزان أسوان المقام على النيل إلى الشمال من السد العالي في طريق غير ممهد، تحفه من الجانبين منازل نوبية بسيطة التفاصيل، مختلفة المساحة، تم بناء أغلبها بالطين، ورُشت حيطانها بالجير الأبيض،المزين برسومات، ونقوش نوبية، وما بين المسافات بين المنازل، تتبدى لك صورة النيلفي منظر بديع، ويصل السياح إلى القرية عبر مراكب شراعية أو مراكب حديثة تعبر النيل من الشرق إلى الغرب حيث توجد أكثر الفنادق التي بها مقار إقامة السياح في شرق النيل.

وأهما يميز القرية أن كل بيوتها (البالغ عددها 30 بيتًا) تعد مصانع صغيرة أو ورش التصنيع الحرف البيئية والشعبية وتسويقها، بجانب أماكن لضيافة السائحين، وهو المنطلق الذي جعل القرية صديقة للسائح، يجد فيها راحته النفسية بتعايشه مع أهل القرية.

وفي العديد من البيوت التي تجلس أمامها نساء في مختلف سنوات العمر، تنشغل كواحدة منهن بعمل منتجات تباع للسائحين، مثل أغطية الرأس (الطواقي)، وحلي تقليدية من الخرز، وعندما تصل الأفواج السياحية تسرع النساء إلى عرض منتجاتهن عليها.

شيدت بيوت غرب سهيل على تل مرتفع عن شاطئ النيل بنحو عشرة أمتار، ليكون الصعود من الشاطئ إلى الأرض عبر سلالم صخرية حفرت في تكوين التل الطيني، وبأعلى التل تختلط المنازل بمحال بيع الهدايا التذكارية والتحف النوبية، والمنتجات التي تشتهر بها أسوان مثل: البلح، والفول السوداني المحمص على أشعة الشمس، والكركديه، والحناء.

وتم تقسيم بعض البيوت إلى قسمين من الداخل قسم منها تم إعداده لاستقبال السائحين بعد تزويده بالزخارف والمنتجات النوبية، مع توفير مكان لجلوسهم على هيئة المجالس في البيوت النوبية، ويقدم للسائحين في تلك البيوت الأطعمة النوبية، والمشروبات والعصائر المحلية التي تتميز بها النوبة.

وقسم آخر تم إعداده على هيئة فنادق صغيرة (نُزل) يقيم بها السائح ويجد فيها كل وسائل الراحة والحداثة في إطار العمارة والزخرفة النوبية التقليدية.

وتخطت القرية مراحل كثيرة من النمو والتطور السياحي ووصلت إلى مرحلة إثبات ذاتها ضمن البرامج السياحية لأغلب الشركات فبعد زيارة أكثر من 300 مدير شركة سياحية من جميع الجنسيات للقرية أصبحت القرية من أهم البرامج السياحية في برامج تلك الشركات فان عدد الزوار للقرية في أيام السبت والأحد والاثنين (تتراوح ما بين 1000 إلى 2000 زائر يوميا بينما باقي الأيام (الثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة) يتعدي عدد الزائرين 3000زائر، وذلك وفقًا لإحصائيات سنة 2010م. (يوسف 2013)

إن تجارب النوبيين في إقامة المشاريع السياحية بعيدًا عن الجهات الرسمية أكد تطبيق كافة الاشتراطات السياحية بما فيه المحافظة على البيئة، وعدم تلوث النيل لأن النوبيين لا يهددون البيئة، ولا يلوثون النيل الذي يحترموه حتى حد التقديس، ومقارنة حال النيل في النوبة مع حاله في بقية أقاليم مصر أصدق دليل على حفاظ النوبيين على نظافة البيئة، ومرد ذلك للثقافة النوبية المرتبطة بالنيل والحفاظ عليه بل وتقديسه.

وإذ يقدم الباحثان هذه الدراسة عن التنمية السياحية للمعابد المطلة على بحيرة ناصر بالنوبة في الوقت الذي تتعثر فيه السياحة ليس في مصر بل في الوطن العربي في ظل التأثير الراهن والمستقبلي من موجة ثورات الربيع العربي وما أحدثته من تغيرات سياسية في دول تعتمد في اقتصادها على السياحة، وهي بجانب مصر: تونس، وسورية، ولقد صدرت العديد من الدراسات عن أنواع ذلك التأثير وأنواعه، واتجاهات الطلب السياحي المستقبلي، والاستثمارات السياحية في ظل تقلب الأحوال السياحية وعدم ثباتها، واتجاهات النمو السياحي في المستقبل القريب.

يشير المجلس العالمي للسفر والسياحة إلى انخفاض عدد السائحين القادمين إلى الدول العربية في النصف الثاني من سنة 2011م بنسبة 32% في مصر، وبنسبة 31% في تونس، في حين وصل

الانخفاض في الدول التي لم تشهد أحداث متعلقة بالربيع العربي إلى 16% في الأردن، وإلى 24% في لبنان. (مكاوي 2014: 69-71)

وكشف التقرير السنوي للبنك المركزي المصري لسنة 2011-2012م أن إيرادات السياحة تراجعت بنحو 30% لتصل إلى 8,7 مليار دولار خلال سنة 2011م مقابل 12,5 مليار دولار في سنة 2010م، وتراجعت الليالي السياحية بمعدل12,7% وانخفض مستوى إنفاق السائح في الليلة الواحدة إلى 72,2 دولار بين شهري يوليو وسبتمبر 2011م ثم وصل إلى 69,6 دولار بين أكتوبر وديسمبر من السنة نفسها، وذلك بمقارنة بمستوى إنفاق كان يصل إلى 85 دولار في الفترة ما بين شهري يوليو إلى ديسمبر 2010م. (مكاوي 2014: 73-74)

وبالرغم من ذلك فإن المجلس العالمي للسياحة والسفر يشير إلى أنه تم تخصيص 12,3% من إجمالي الاستثمارات في مصر للقطاع السياحي خلال سنة 2012م بما يساوي 31 مليار جنيه. (مكاوي 2014: 73-74)

النتائج والتوصيات

1-إن إسهام النوبة في البناء الحضاري المصري إسهام فريد على مر التاريخ لأنه قام على التضحية والتجرد، مما يجعل النوبة تزهو على سائر أقاليم الوطن بما قدمته من أجله بعيدًا عن النرجسية.

2-قدمت النوبة للعالم بأسره إنجازًا ثقافيًّا تمثل في برنامج مواقع التراث العالمي الذي تديره منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو)، فبعد أن استقر الأمر على بناء السد العالي عام 1954م بدأت منظمة اليونسكو حملة في جميع أنحاء العالم لإنقاذ آثار النوبة. وقد تم تفكيك كل المعابد ونقلها إلى مواقع أعلى، وأدى نجاح حملة إنقاذ آثار النوبة إلى إطلاق حملات أخرى للحفاظ على التراث الحضاري العالمي انتهت بعقد اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي خلال المؤتمر العام لمنظمة اليونسكو الذي عقد في 16 نوفمبر1972م.

3-يمكن للدولة الاستفادة من النوبيين في المفاوضات الخاصة بمياه النيل وخاصة مع السودان وأثيوبيا بعد بناء سد النهضة لما للنوبيين من علاقات تاريخية وصلات قربى بالشعبين السوداني والأثيوبي.

4-إن تجارب النوبيين في التنمية السياحية للمواقع الأثرية، والطبيعية ماثلة وتأتي في مقدمتها تجربة قرية غرب سهيل التي أكدت أن المجتمع المحلي في النوبة قادر على تنفيذ مشروعات لم تتمكن الدولة من القيام بها.

5-سيؤدي تطبيق المادة 236 من الدستور المصري الحالي إذا التزمت به الدولة إلى عودة النوبيين إلى قراهم التي هجروا منها قسريًا قبل أكثر من نصف قرن، ولا شك أن هذه العودة ستعني تنفيذ

التنمية السياحة للمعابد المطلة على بحيرة ناصر التي كانت ولا تزال تعاني من الإهمال الرسمي المتمثل في عدم تنفيذ أي مشروعات للتنمية السياحية بها.

6-كانت بعض الشركات السياحية تنظم برنامج سياحي غير منتظم لزيارة المعابد المطلة على بحيرة ناصر ويبدأ البرنامج برحلة عبر النيل من جنوب السد العالي وتتوقف عند معابد: كلابشة، وبيت الوالي، وقرطاسي، ثم تبحر في اليوم التالي إلى وادي السبوع لتقف عند معابد: السبوع، والدكة، وعمدا، والدر ومقبرة بنوت (عنيبة)، ثم تواصل إلى أبوسمبل، هذا البرنامج لا يمكن تفعليه وجعله منتظمًا إلا بعودة النوبيين إلى النوبة القديمة وتنميتها سياحيًا بأنفسهم بعيدًا عن الجهود الرسمية التي غالبًا ما تتعثر.

7-تعد بحيرة ناصر من أكبر البحيرات الصناعية في العال مولم يتم حتى الآن استغلال مياهها الصافية وضفافها الطبيعية الزاخرة بالمناظر الطبيعية سياحيًا حتى الآن، ولن يحدث هذا إلا بعودة النوبيين إلى أرضهم.

8-إن الاستقرار الأمني الذي تتميز به النوبة يكفل لها استمرار السياحة في فترات الاضطرابات دون غيرها من أجزاء الوطن، وفي ظل التداعيات الخطيرة التي تعرض لها قطاع السياحة بعد ثورة 25 يناير المجيدة فإن بإمكان النوبة أن تكون منطقة جذب سياحي في السنوات القادمة بحدود تصل إلى سنة 2023 – 2025م إذا ما التزمت الحكومة بما جاء في الدستور بخصوص عودة النوبيين لأرضهم.

المراجع

الكتاب المقدس، العهد الجديد، سفر أعمال الرسل.

أسعد، بولين تودري 2010 تطور الفن المسيحي في كاتدرائية فارس (مجلة راكوتي، السنة السابعة، العدد الأول، يناير 2010م جمعية مارمينا للدراسات القبطية بالإسكندرية).

أبوبكر، عبدالمنعم 1962 بلاد النوبة (المكتبة الثقافية 58، أبريل 1962، وزارة الثقافة، القاهرة)

بوركهارت، جون لويس 2012 رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان (ترجمة محمد محمود الصياد، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة)

عاشور، شروق محمد أحمد، وفرج الله أحمد يوسف 2016 النوبة في الكتاب المقدس؛ بالمشاركة مع أ. د. شروق محمد أحمد عاشور (أعمال المؤتمر الدولي الأول لتراث النوبة المسيحية، المركز الثقافي الفرنسيسكاني، القاهرة)

عبالمجيد، أسامة عبدالوارث 2006 معالم تاريخ وحضارة بلاد النوبة منذ ما قبل التاريخ حتى العصر الإسلامي (سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية، مشروع المائة كتاب، كتاب 50، القاهرة)

عكاشة، ثروت وآخرون: د. ت بلاد النوبة. (القاهرة. بدون تاريخ)

قسم السيد، علي أحمد 1987 الأسلحة الأثرية ومدلولها الحضاري في حوض النيل الأوسط والأسفل من منتصف العصر الحجري حتى القرن الأول قبل الميلاد ص ص 56 – 67 (المنهل، المجلد 48)
كوبيشانوف، يوري ميخايلوفتش 1988 الشمال الشرقي الإفريقي في العصور الوسطى المبكرة (ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم – عمان)
محمد، مصطفى 2011 الإسلام والنوبة في العصور الوسطى(الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة)
مكاوي، مصطفى أحمد السيد 2014 الاستثمار السياحي في مصر والدول العربية، الأهمية والتحديات ورؤية التطوير (مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، دراسات إستراتيجية، العدد 193، الطبعة الأولى، أبو ظبي)
وليامز، بروس 2003 فراعنة النوبة المنسيين (ترجمة: فؤاد عكود، مجلة الآثار السودانية، العدد الرابع، فبراير 2003م)
يوسف، فرج الله أحمد 2013 التنمية السياحية في النوبة.. غرب سهيل نموذجًا (المؤتمر الأردني الأول للسياحة والضيافة، كلية السياحة والفنادق بجامعة اليرموك، إربد)